دور قبيلة عرب الهنادي في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر
١٧٩٨- ١٨٠١م

د/عبد الحكيم عامر الطحاوي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد ووكيل معهد الدراسات الآسيوية – جامعة الزقازيق

مقدمة

تعد دراسة تاريخ القبائل العربية من الدراسات المهمة في التاريخ الحديث والمعاصر لتوضيح أحوالهم ودورهم في تاريخ مصر، حيث شاركت القبائل العربية في مسيرة الأحداث التي مرت بها مصر خلال تاريخها الطويل في مختلف العصور بصفة عامة، ومن هذه الأهمية كان إختياري لهذا الموضوع بعنوان "دور قبيلة عرب الهنادي في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر"، حيث يمثل هذا الدور أحد الملامح البارزة لمشاركة القبائل العربية بالدفاع عن تراب مصر الوطني التي عاشوا عليها وأصبحوا ضمن النسيج الواحد للمجتمع المصري.

وتبدأ هذه الدراسة بتمهيد يتناول أصول قبيلة "عرب الهنادي" ثم دورهم في التاريخ الحديث بداية من فترة حكم علي بك الكبير كمقدمة لاستقرارهم في مصر قبيل الحملة الفرنسية ثم توضيح دورهم في مقاومة هذه الحملة والذي تناولناه منذ بداية نزول الحملة وخط سيرها نحو القاهرة حتى خروج الحملة من مصر مرة أخرى، مرورًا بمشاركتهم في مقاومة الحملة إبان وجودها في الأراضي المصرية ثم خاتمة توضح أبرز النتائج ودورهم في اختيار محمد علي حاكمًا على مصر.

ولقد تتبعت في هذه الدراسة منهج البحث التاريخي واعتمدت على عدد من المصادر المعاصرة خاصة كتابات علماء الحملة الفرنسية والجبرتي والكتب والدوريات التي تناولت الموضوع.

أصل قبيلة عرب الهنادى

تعد قبيلة عرب الطحاوية إحدى فروع قبيلة الهنادي التي تفرعت عن القبيلة الأم بني سليم، وبالتالي ترجع أصولها إلى شبه جزيرة العرب ذلك الاسم الذى يطلق على الأرض التى تقع بين البحر الأحمر غرباً: والخليج العربى شرقاً وخليج عدن وبحر العرب جنوباً وبادية الشام والعراق شمالاً، هذا الموقع المتوسط من العالم الذي شرّفه الله بأنه كان مهبط رسالة الإسلام على النبي محمد ﷺ، كل سكانه من القبائل العربية، ومن بين هذه القبائل قبيلة بنى سليم التى كانت تعيش بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولقد اكتسبت بنى سليم أهمية كبرى بين قبائل الحجاز، وترجع هذه الأهمية إلى كثرة عددهم وانتشارهم فى موقع يسيطر على طريق التجارة بين مكة جنوباً والشام شمالاً.

وأصل قبيلة بنى سليم يرجع إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان(١) ، ولقد أنجب سليم هذا من الولد واحداً أسماه بهثة(٢) ، ومنه كل أبناء قبيلة بنى سليم التى ظلت تعيش فى موطنها بشبه الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام، حيث دعاهم الرسول إلى الإسلام فاستجاب معظم أبنائها ودخلوا فى الإسلام، وكانوا من القبائل التى شاركت الجهاد فى سبيل الله، وكانوا ضمن جيش فتح مكة(٣) ، حيث شكلوا ميمنة جيش الفتح وكان قائد فرقة بنى سليم هو خالد بن حذيفة(٤).

وظلت قبيلة بنى سليم تعيش فى أرضها بشبه الجزيرة العربية حتى تمام الفتوحات العربية فى الشام والعراق ومصر وفارس وشمال إفريقية، عندها بدأت هجرات القبائل العربية إلى الأراضى الجديدة إما بإرادة هذه القبائل بحثاً عن مصادر جديدة للرزق أو بإيعاز من الخلفاء لنشر الإسلام

وسيطرة العرب على البلاد التى فتحوها، فكانت قبيلة بنى سليم من هذه القبائل التى قامت أعداد كبيرة منها بالهجرة، فتوجهت عدة بطون إلى مصر وظلت أخرى في موطنهم بشبه الجزيرة العربية،وذلك حينما أرسل عبدالله بن الحبحاب عامل خراج مصر حينئذ إلى الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ليسأله أن يأذن له بنقل عدة بيوت من قيس عيلان إلى مصر، فأذن له بذلك فكانت بطون قبيلة بنى سليم من هؤلاء، فنزلت لأول مرة مع عدة قبائل أخرى لأرض مصر عام ١٠٩ هـ[٥]. بعد ذلك تولى عبدالله بن الحبحاب ولاية مصر فأذن الخليفة أن يسكن مائة أهل بيت ممن جاءوا إلى مصر من بنى سليم فى بلبيس بالشرقية فوافق وأنزلهم فيها وأمرهم بالزرع وشراء الخيول[٦].

وانضم إلى قبيلة بنى سليم وهى بأرض الشرقية فى مصر بعض القبائل العربية الأخرى لعل أهمها قبيلة بنى هلال، التى هى فى نفس الوقت تنتمى إلى هوزان بن منصور شقيق سليم، وبدأت هاتان القبيلتان فى الازدياد بأرض مصر، ومع بداية عهد الخلافة الفاطمية وانتصار الخليفة الفاطمى العزيز بالله على القرامطة فى شرق الجزيرة العربية، شجع حلفائهم من أبناء بنى سليم وهلال بالهجرة إلى إخوانهم فى مصر، فجاءت أعداد منهم حتى أصبحت كثرتهم مصدر قلق للخلافة الفاطمية، وحينما رأى ذلك الخليفة المستنصر أشار إلى وزيره اليازورى بالتخلص من هذه الأعداد الهائلة من بني سليم وهلال للتخفيف من شدة القحط الذى انتشر فى البلاد فى تلك الفترة، فانتهز اليازورى قيام المعز ابن باديس بتأسيس دولة فى تونس بشمال إفريقية أعلن بها الانفصال عن الخلافة الفاطمية بالقاهرة عام ٤٣٢ هـ[٧] ، وانتهز ذلك ليرسل هذه الجموع الهائلة من بنى سليم وهلال لتأديب ابن باديس.

فقامت هذه الجموع وتحالفت فيما بينها بنى سليم وبنى هلال وتركت مصر عام ٤٤٢ هـ، وسارت إلى شمال إفريقية وتقدموا يحتلون المدينة تلو الأخرى حتى هزموا ابن باديس عام ٤٤٤ هـ/١٠٥٠م، وقضوا على دولته[٨].

وفى شمال إفريقية حيث استقرت قبيلة بنى سليم وهلال بدأت بطونهم تكثر وتتفرع حتى أنه أصبح ينتسب إليهم كل العرب الذين يعيشون على الساحل الأفريقي من غرب الإسكندرية حتى المغرب، وعاش أبناء سليم بن منصور مع مسيرة الزمن لم تعد بنى سليم كما هى بل أصبحت فروعاً كثيرة بين شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا،وفضلت ذلك العيش بالقرب من مصر فاختارت كما رأينا من غرب الإسكندرية حتى طرابلس وتركت ما بعد ذلك إلى حلفائهم بنى هلال.

ولقد ذكر السويدى[٩] ، من بطون سليم ما يقرب من الثلاثون فرعاً تفرعت فى هذه المنطقة، وبعد ذلك ازدادت هذه الفروع إلى بطون أخرى أكثر من ذى قبل يهمنا من هذه الفروع فرع أو بطن يسمى بالكعوب نسبة إلى كعب بن أحمد من بنى عوف بن بهثة بن سليم[١٠] ، ولقد ذكرهم السويدى أيضاً حين قال "الكعوب بطن من سليم منهم أولاد أبى الليل أمراء العرب فى إفريقية[١١] وأبو الليل هذا[١٢] هو الذى أنجب سلام الذى أنجب بدوره هند الجد الأكبر الذى حمل أسمه ذلك الفرع من بنى سليم فأصبح يسمى بقبيلة عرب الهنادى، فظل هند علماً عليها كأحد فروع القبيلة الأم بنى سليم.

واستمر عرب الهنادى فى العيش مع فروع بنى سليم الأخرى حتى قرب منتصف القرن الثامن عشر الميلادى - الثانى عشر الهجرى، أرسل إليهم إخوانهم من أبناء القبائل الأخرى المقيمة فى غرب دلتا النيل، وأخبروهم عن كثرة المراعى نتيجة ازدياد فيضان ذلك النهر العظيم، وما يجلبه ذلك من خيرات تعم المنطقة كلها بالمحاصيل والمراعى، فأغرى ذلك بعض القبائل فى العودة إلى مصر

بينما ظلت في ليبيا وتونس قبائل كثيرة من بني سليم ما زالت موجودة[١٣] ،وممن عادوا قبيلة عرب الهنادى التى خرجت سليماً وعادت هنادى.

وهكذا عادوا إلى مصر فى هجرات متوالية تعد من أكبر الهجرات العربية التى وفدت على مصر من ناحية الغرب[١٤] ، هذه الهجرات كانت كلها تقريباً من سلالات سليم الذين عادوا بأسماء أعلام حملوها أثناء إقامتهم فى الغرب ومن هذه القبائل أولاد على والجمعيات والجبالية والفوائد والرماح والجوازى وقبيلة الهنادى.

عرب الهنادى والحملة الفرنسية

عادت قبيلة عرب الهنادى من إقليم برقة فى شمال إفريقية إلى أرض مصر واستقرت فى غرب الدلتا مع منتصف القرن الثامن عشر الميلادى /الثانى عشر الهجرى، حيث كانت هذه هى المرة الأولى التى يدخلوا فيها أرض مصر فى التاريخ الحديث، وكانت مصر فى هذه الفترة ولاية تابعة إلى الدولة العثمانية ولكنها تحت سيطرة المماليك، وكان الوالى الذى يحكم مصر فى ذلك الوقت هو على باشا الحكيم الذى ظل يحكم حتى عام ١٧٥٧ م / ١١٧٠هـ [١٥]

أما أمراء المماليك فكانوا يتصارعون فيما بينهم من أجل السيطرة على حكم مصر ولعل أبرز هؤلاء فى هذه الفترة هو على بك الكبير، الذى ما أن تخلص من منافسه صالح بك القاسمى عام ١٧٦٨ م، حتى استقرت له الأمور وبدأ يفكر جدياً فى الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية.

ولقد احتفظت قبيلة عرب الهنادى بقوتها منذ عودتها التى جعلت سويلم ابن حبيب أحد معارضى المماليك يلجأ إليهم، فحينما قام على بك الكبير بمحاولة الاستقلال عن الدولة العثمانية عام ١٧٦٩م[١٦] ، بعد ما تخلص من كل معارضيه حتى من الوالى العثمانى نفسه حيث استطاع أن يسجنه، ومع ذلك لم يشعر بأنه أصبح منفردا بالسلطة لأن هناك شخصيتان تتنازعان النفوذ معه، وليس هذه المرة من أمراء المماليك لكن من أبناء الشعب المصرى، ولقد شعر على بك الكبير بأن كل منهما يكون لنفسه دولة داخل الدولة، وهما همام بن يوسف زعيم قبائل هواره فى الصعيد، وسويلم بن حبيب كبير مشايخ العرب فى الوجه البحرى الذى انتهت إليه زعامة جميع القبائل العربية فيه[١٧].

ورأى على بك ضرورة التخلص منهما فأرسل إلى الأول حملة بقيادة محمد بك أبو الدهب استطاعت القضاء على همام، أما الثانى سويلم بن حبيب فقد حاول معه على بك الكبير من قبل عام ١٧٦٨ م، حينما اتهمه بالانضمام إلى خصومه من المماليك،وأرسل إليه بحمله إلى دجوه[١٨] مركز عرب أولاد حبيب فلم تجده فيها، وإنما هرب بمن معه إلى البحيرة والتجأ إلى عرب الهنادى[١٩] ، وفى يونيه عام ١٧٦٩م أرسل إليه على بك الكبير بحملته الكبيرة بقيادة أحد كبار اتباعه وهو إسماعيل بك، وكان مع عرب الهنادى أحمد باشا الجزار الذى كان على بك قد طلب منه الغدر بخصمه صالح بك القاسمى فلم يطاوعه، وفر إلى خارج مصر ثم عاد إليها وانضم إلى عرب الهنادى، وحينما وصلت الحملة بقيادة إسماعيل بك والتقت بابن حبيب وعرب الهنادى استمرت المعركة ثلاثة أيام، انتهت بمقتل ابن حبيب وتفرق عرب الهنادى واختفاء أحمد باشا الجزار[٢٠] ، والذى لم يظهر بعدها إلا فى الشام حيث أسس لنفسه إمارة فى مدينة عكا.

يتضح لنا بعد معركة إسماعيل بك مع ابن حبيب أن عرب الهنادى قد شاركوا فى هذه المحاولة لوقف سيطرة المماليك على مصر، ولكن هذه المعركة قد جاءتهم بعد استقرارهم بمدة قصيرة فكانت هزيمتهم التى بعدها أخذوا فى الانتشار والتوسع فى الناحية الغربية من فرع النيل من رشيد إلى

البحيرة، ويقول الجبرتي أن أحمد باشا الجداوى أحد زعماء المماليك فى مصر قد أرسل إلى مشايخ عرب الهنادى وذهبوا له فى الإسكندرية عام ١٧٨٦م، وألبسهم خلعا وأعطاهم الكثير من الأموال[٢١] ، مما يعبر عن أن أصحاب السلطة الفعلية فى مصر قد رغبوا فى التعامل معهم وأعترفوا بمكانتهم وأقروهم فى أماكن إقامتهم هذه، والتى ستكون مسرحا لأحداث الحملة الفرنسية التى غيرت من تاريخ مصر الحديث.

عرب الهنادى في خط سير الحملة

رأينا أن الأوضاع قد استقرت بين عرب الهنادى وبين المماليك واقروهم فى الإقامة بالناحية الغربية لفرع النيل فى إقليم البحيرة، فى المنطقة الواقعة جنوب الإسكندرية وعلى مشارف الصحراء، حيث أن عرب الهنادى والقبائل العربية عموما لا تتحمل خضوعا من أي، نوع خاصة إذا كان من عنصر غريب عن العرب وبالتالي فضلوا الإقامة على حافة الصحراء.

ولما كانت مصر بموقعها الجغرافى المميز وتاريخها العريق محط أنظار الدول الاستعمارية، فقد تعرضت للغزو الفرنسى ضمن سلسلة الصراع على العالم مع انجلترا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلادى، حينما نزلت قوات الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت واحتلت الإسكندرية في أوائل شهر يوليو من

عام ١٧٩٨م، وبدأت تستعد للزحف نحو القاهرة.

عند ذلك رأينا أن مختلف طبقات الشعب المصرى وضمنه القبائل العربية هبت للدفاع عن أرض هذا الوطن بكل ما تملك وبكل الوسائل، فبعد مقاومة شريفة سقطت الإسكندرية وبدأت الحملة فى زحفها نحو القاهرة، واتخذت من فرع النيل الغربى وصحراء البحيرة خطا لسيرها، وبعد دراسة نابليون لطبيعة هذه المنطقة التي سيسير عليها وقواته إلى القاهرة، وبعد أن لمس مقاومة القبائل فى الصحراء الغربية أثناء زحفه على الإسكندرية من شاطئ العجمى حيث نزلت قوات الحملة الفرنسية، رأى أنه من الأفضل أن يعقد معاهدة مع شيوخ قبائل العرب فى البحيرة بهدف استرجاع الأسرى، وتأمين مقاومتهم عن طريق تأجير خيولهم وجمالهم للزحف نحو القاهرة[٢٢] ، ولقد اتبع طرق شتى لاقناع ثلاثة عشر شيخا قابلهم ومن ضمنهم شيوخ قبيلة الهنادى وكادت أن تتم هذه المعاهدة فى ٥ يوليو عام ١٧٩٨م، لولا أن فطن علماء ومشايخ القاهرة إلى أهداف نابليون ووضحوها فى رسالة إلى شيوخ قبائل العرب ودعوهم إلى جهاد الغزاة الفرنسيين.

وكان من أهم هذه القبائل أثناء الحملة الفرنسية فى هذه المنطقة الهنادى وأولاد على والجوابى والأفراد والجمعيات وبنى عونه[٢٣] ، فهبوا بلا هواده يلاحقون الجنود الفرنسيين وكانت قبيلة عرب الهنادى التى أكدت المصادر الفرنسية أنها كانت ضدهم وتقاوم حتى من يتعاون معهم [٢٤] وكان لفرسان عرب الهنادى فرقة تزيد عن ثمانمائة فارس من أقوى فرسان القبائل فى مصر وأكثرها شراسة[٢٥]. كما ذكر علماء الحملة الفرنسية أن قبائل الصحراء الغربية كانت تستخدم الأسلحة النارية التى كانوا يحصلون عليها من الإسكندرية بجانب الأسلحة التقليدية من سيوف ورماح، وقلما يقاتل العربى إلا وهو يمتطى حصانه وهو مسلح بهذه الأسلحة التى كان يعلقها فى قوس سرجه، وبهذه الطرق التى يمكن أن تكون في مواجهة قوات الفرنسيين طرق بدائية، استطاع قبائل العرب ومنهم عرب الهنادى مواجهة الفرنسيين والإيقاع بهم طوال الطريق نحو القاهرة من الإسكندرية.

ولقد كونوا مع بقية الفلاحين أكثر جند مراد بك في موقعة شبراخيت ١٣ يوليو ١٧٩٨م، كذلك فى موقعة إمبابة ٢١ يوليو لكنهم كبقية الجيش لم يستطيعوا المقاومة طويلاً أمام مدافع الجيش الفرنسى ومعداته وأساليبه الحديثة فى القتال.

وحيث أنهم لم يتقنوا أساليب الحرب النظامية فلقد سببوا متاعب كبيرة لنابليون وجيشه أثناء الزحف نحو القاهرة على طريقتهم البدائية، فكانوا كثيراً ما يتعقبون الجيش الفرنسى أثناء سيره وإذا ما تأخر بعض الجند عن فرقهم كانوا يختطفونهم، كما يروى الفرنسيين فى كتابهم وصف مصر وهم على مرمى بنادق زملائهم ويذبحونهم بسرعة مذهلة، لا يتمكن معها الجنود الفرنسيين من إنقاذ زملائهم حتى أنهم فى أحد المرات قد اختطفوا ديلانو القائد المساعد للحملة[٢٦] ، ولقد وصف رجال الحملة الفرنسية هجمات العرب هذه بأنها هجمات شرسة كانوا يخرجون منها بالغنائم أيضاً، وهو ما وصفه بعض المؤرخين بأنه سطو للأعراب فهل هذه الطريقة البدائية التى لا يستطيعون عمل سواها مع أعداء محتلين للوطن تعتبر سطوًا؟!.

عرب الهنادى ومقاومة الاحتلال الفرنسي

مع وصول الفرنسيين إلى القاهرة واحتلالهم لمصر فى يوليو عام ١٧٩٨ م، لم تتوقف مقاومة القبائل لهم وكانوا يهاجمون الحاميات الفرنسيين حتى وسط الدلتا، وفى إحداها هاجموا الحامية الفرنسية فى المنصورة وكان عددها ١٢٠ رجلاً، استطاعوا قتلهم جميعاً ولم ينجوا منهم إلا ثلاثة أخذوا أسيرين منهما والثالث هرب، ولعل الدور الأكبر للقبائل وعرب الهنادى ينجلى بوضوح فى الثورة التى قامت فى البحيرة فى أواخر شهر إبريل عام ١٧٩٩ م حيث كانت أعظم انتشاراً وأكبر خطراً من ثورة الشرقية[٢٧].

فلقد ظهر رجل يدعى المهدي ودعا الناس لقتال الفرنسيين وانضم إليه رجال القبائل من عرب الهنادى وأولاد على وغيرهم وأيضاً سكان القرى التى مر بها، وساروا جميعاً بأسلحتهم حتى وصلوا مدينة دمنهور فى ٢٥ إبريل وكانت بها حامية فرنسية تحت قيادة الضابط الفرنسى مارتان، وانقضوا على هذه الحامية وقتلوا كل رجالها وواصلوا سيرهم حتى الرحمانية ورشيد يقاتلون من يجدونه من الفرنسيين كما يقول الجبرتى[٢٨].

وكان لهذا الانتصار تأثير كبير فى البحيرة حيث هرع كل الناس وانضموا جميعاً لقتال الفرنسيين، وبعد عودة الكولونيل لفيفر إلى دمنهور فى كتيبته الطوافة التى كانت تطوف لجباية الأموال من البلاد، رأى أنه من المخاطرة تعقب هذه الجموع فذهب إلى الرحمانية وتحصن بحصن الفرنسيين بها، وحينما علم الجنرال مارمون قومندان الإسكندرية بنبأ الكارثة التى حلت بالحامية الفرنسية بدمنهور أرسل قوة بقيادة الضابط ريدون مزودة بالمدافع لقصف المهدى ورجال عرب الهنادى والقبائل وفلاحى البحيرة، والتقى بهم بالقرب من دمنهور ودار قتال شديد بين الفريقين انتهى بانسحاب ريدون إلى الإسكندرية.

معركة سنهور:

بعد ذلك عهد مارمون إلى الكولونيل جوليان فى نجدة لفيفر بالرحمانية، فوصل بجنوده المزودين بالمدافع وانضم إلى الجنود الفرنسيين بها، وسارت القوات الفرنسية مجتمعة لملاقاة الجموع المصرية من القبائل العربية والفلاحين تحت قيادة المهدى فتقابلا يوم ٣ مايو ١٧٩٩م في بسنهور بالقرب من دمنهور، فى معركة من أشد المعارك هولاً وصفها ريبو فى التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية

حيث قال "إن الجموع المصرية كانوا خمسة عشر ألف مقاتل من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان، وأن القتال استمر سبع ساعات كان أشبه بمجزرة رهيبة"(٢٩).

وتعتبر هذه الواقعة من أشد الوقائع التى واجهها الفرنسيون فى القطر المصرى وأظهر فيها الفلاحون والعرب شجاعة كبيرة لا نظير لها استخفافاً بالموت، وبذل الكولونيل لفيفر أقصى ما أنتجه العلم والفن فى القتال واستخدم أحدث ما ابتكره نابليون فى الهجوم على هذه الجموع التى برغم قتله الكثير منهم إلا أنه فكر فى الانسحاب إلى الرحمانية، إلا أن هذه الجموع، كانت تسد الطريق أمامه حتى اضطر إلى ضم صفوفه واختراق هذه الجموع التى طوقتهم وانسحب من ميدان القتال بعد فداحة خسائره إلى الرحمانية.

ولقد كان لعرب الهنادى شرف الاشتراك فى هذه المعركة وبذل قصارى جهدهم من أجل النصر الذى كان فداءاً له أحد شيوخ قبيلة الهنادى الشيخ مراد عبدالله(٣٠) ، الذى كان ممن استشهدوا فى هذه المعركة الكبيرة دفاعًا عن مصر ولقد أغرى هذا النصر المهدى ورجاله فسار إلى الرحمانية لكنه اضطر أمام مناعة الفرنسيين فيها إلى العودة إلى دمنهور.

استمرار المقاومة وجلاء الحملة

رأى قادة الحملة الفرنسية ضرورة توحيد أكبر عدد من القواد لإخماد هذه الثورة التى استفحل شأنها، فعهد الجنرال دوجيه إلى الجنرال لانوس الذى كان فى الدقهلية أن يتوجه بقواته إلى البحيرة، فغادر مدينة ميت غمر فى ٥ مايو ١٧٩٩م وضم إليه جنود الجنرال فوجير الذى كان مرابطاً فى الغربية، ووصل إلى الرحمانية وسار بهذه القوات الفرنسية الكبيرة مجتمعة إلى دمنهور، واستطاع أن يهزم المهدى والقبائل والفلاحين ويدخل دمنهور فاتحاً ويدمرها وقام الفرنسيين بإحراقها ونهبها والاستيلاء على ما فيها من غنائم وأسلاب كبيرة.

أما هذه الجموع مجتمعة من قبائل العرب الهنادى وأولاد على وغيرهم والفلاحين والمهدى فقد لحق بهم الجنرال لانوس على حدود مديرية البحيرة وشتت شملهم ويقال أن المهدى قتل فى هذا اليوم ولكن الجبرتى يقول بأنه ظهر فى ثورة القاهرة الثانية.

ومهما يكن من هذا المصير لهذه الجموع فإن انتصاراتهم انتشرت فى أنحاء مصر، وأثرت فى النفوس حتى أن رؤساء المماليك مراد بك وحسن بك قد عزموا اللحاق بهم وغادروا الصعيد فعلاً وحينما علموا بالهزيمة عادوا وانكمشوا فى الوجه القبلى، وأنه بالرغم من اخماد ثورة هذه الجموع وتفرقهم فى البلاد إلا أن الثورة العامة تحولت إلى اضطرابات محلية ضد الفرنسيين، واستمرت فى مختلف البلاد المصرية، ولقد شارك فيها أيضاً عرب الهنادى حتى تم جلاء الفرنسيين عن مصر وأثناء جلائهم فى طريق العودة من القاهرة إلى الإسكندرية تعرض لهم القبائل العربية وعرب الهنادى وفعلوا بهم ما فعلوه أثناء زحفهم نحو القاهرة.

وهكذا كتب لأبناء بني سليم أن يشاركوا فى قتال الفرنسيين تحت اسم عدة قبائل منها عرب الهنادى "أجداد الطحاوية" ومختلف القبائل الأخرى، والشعب المصرى للدفاع عن أرض الوطن مصر وطرد كل أجنبى يريد البقاء فى هذه البلاد، وبخروج الفرنسيين يسطر التاريخ لكل شعب مصر ومنه عرب الهنادى سطوراً مضيئة لا يمكن أن تطفأ من شعلة التاريخ الحديث.

الخاتمة

وهكذا تتبعنا أبعاد دور قبيلة عرب الهنادي في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر، ووضح لنا من خلاله أن قبيلة عرب الهنادي ومنذ استقرت في أرض مصر أصبحت جزء من نسيج الشعب المصري الذي حمل راية الدفاع عن أراضيه أمام كل من يحاول المساس بهذه الأرض. وهو ما عبرت عنه رحلة عرب الهنادي منذ عودتهم من شمال أفريقيا في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري، حيث استقروا في غرب دلتا النيل ومنها انتشروا في هذه المنطقة وقاوموا المماليك عندما وقفوا ضد علي بك الكبير، حتى كانت مقاومتهم للحملة الفرنسية منذ نزولها إلى الأراضي المصرية واحتلالها الإسكندرية في مطلع يوليو ١٧٩٨م وحتى جلاءهم منها في سبتمبر عام ١٨٠١م.

ولقد استمرت مشاركة قبيلة عرب الهنادي في الأحداث التي مرت بتاريخ مصر الحديث حيث شاركوا في اختيار محمد علي حاكمًا على مصر في عام ١٨٠٥م، وتوسعوا وزاد عددهم وتفرعوا إلى عدة قبائل كان من أشهرها قبيلة "عرب الطحاوية" التي تعيش في محافظة الشرقية بمصر، ولها الكثير من الارتباط مع القبائل التي تنتمي إلى القبيلة الأم "بني سليم" أو "عرب الهنادي" سواء في مصر أو خارجها، وما زال أبناء هذه القبائل يؤدون دورهم ضمن كل المصريين على مسرح الحياة المصرية إلى الآن.

والله الموفق والمستعان.

الهوامش:

(١) السويدى: سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب ص ١٣. والذى يضيف أن عيلان شقيقة الياس جد قبيلة قريش وهم أبناء مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أي أنهم من العرب العدنانية التي ينتهي نسبها إلى إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام.

(٢) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب. تحقيق بروفنسال ص ٢٤٩.

(٣) د. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ص ١٣٦.

(٤) ابن حزم: الجمهرة ص ٢٥٢ وعنه بقية الأسماء المذكورة.

(٥) المقريزى: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. تحقيق د. عبد الحميد عابدين ص ٦٥.

(٦) نفس المصدر السابق ص ٦٧.

(٧) د. عبد الحميد يونس : الهلالية ص ٦٥.

(٨) أحمد لطفى السيد: قبائل العرب فى مصر ص ٥. "وفى هذه الحروب ظهرت القصة الشعبية الشهيرة أبى زيد الهلالى".

(٩) السويدى: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ص ٣٨.

(١٠)كعب بن أحمد بن ترحم بن حميد بن يحيى بن علاق لعوف بن بهثة لسليم: عن مصطفى أبو ضيف رسالة ماجستير عن القبائل العربية فى المغرب.

(١١) ابن خلدون: العبر ج٦، ص٣٦٤. القلقشندى: النهاية، ص ٣٨٤.

(١٢) أبو الليل هو الذئب بن أحمد بن كعب بن على بن يعقوب بن كعب، عن رسالة الماجستير السابقة.

(١٣) يذكر الطيب السلمي من هذه القبائل في ليبيا السعادي والتواجر وأولاد حمد والأصابعة والحمادية والمحاميد وبنو لبيد وغيرهم، بينما يذكر المرزوقي السلمي التونسي من بني سليم بأرض تونس الكعوب والمرازيق وأولاد يعقوب والهمامة وغيرهم، وقليل منهم التقيت بأحدهم وصل إلى فاس بالمغرب.

(١٤) المقريزى: البيان والاعراب، د. عابدين، ص١٦٧.

(١٥) الجبرتى: تاريخه، ص ٨٣.

(١٦) د. محمد ضياء الدين الريس: تاريخ الشرق العربى والخلافة العثمانية ج ١ ص ٣٢.

(١٧) رفعت رمضان: على بك الكبير ص ٤٥.

(١٨) دجوه إحدى قرى محافظة القليوبية: على مبارك: الخطط ج١ ص ١٠١..

(١٩) الجبرتى: تاريخه ج ٢٧ من كتاب الشعب ص ٨٤.

(٢٠) نفس المصدر السابق ص ٨٧.

(٢١) الجبرتى : نفس المصدر السابق.

(٢٢) ج. كريسوفر هيرالد: نابليون فى مصر، ص ١٠٥.

(٢٣) دى شابرول: وصف مصر ج ١ ص ١٣١.

(٢٤) نفس المصدر السابق ج ١ ص ١٣٣.

(٢٥) نفس المصدر: ج ١ ص ٢٣.

(٢٦) ج. كوتل: وصف مصر ج٢ ص ١٢٧.

(٢٧) عبد الرحمن الرافعى: الحركة القومية، ج٢، ص ٥٨.

(٢٨) الجبرتى: تاريخه ج ٢٧.

(٢٩) ريبو: وصف مصر، ج٥.

(٣٠) عبد الرحمن الرافعى: والحركة القومية، ص ٦٠.